رجال غيروا وجه التاريخ الإنسانى

صفوة النابهين

رجال أعمال حول الرسول

الدين والدنيا.. معا

• عبد الرحمن بن عوف •

obeikandl.com

obeikandl.com

تاريخ الإنسانية ومنذ بداية عمر التاريخ، لم يسجل مثل هذه الفضائل المنزهة لرجال أعمال كانوا حول الرسول العظيم، ومنذ اللحظات الأولى لنشر الدعوة للإسلام ،وحتى وفاة الرسول ﷺ . . ورغم كل هذا الثراء ـ وبعضهم تقدر أمواله بالمليارات وفقا للتقييم المعاصر ـ لم يكن أحد منهم من المنتفعين النهازيين المتواطئين على تبديل الحقيقة. . لم يكن أحد منهم من الوصوليين المصنوعين أو المصطنعين والذين يقفون فى زماننا الراهن وراء ظاهرة الفساد والمفسدين، والخلل فى موازين الإنسانية!!

كانت تجارتهم وإدارة أموالهم، تقول : بأن هؤلاء أسبق معرفة بأصول ومبادئ الاقتصاد. . وعى فطرى بأحكام العرض والطلب، وحركة السوق المحلى والخارجى فى رحلات الشتاء والصيف، إلى اليمن والحبشة وبلاد الشام. . ولم يكن نشاطهم الاقتصادى مجرد تعاملات تجارية ومالية، بل دخلت استثمارات الثروة تدعم وتغذى قطاعات ترتبط باحتياجات المجتمع، من التبرعات بحفر آبار المياه، أو شراء الآبار ،وهى فى ذلك الوقت من أهم الموارد التى يحيا عليها وحولها المجتمع، إلى جانب تحمل نفقات الإعداد للجيوش. . وقد تجلت مظاهر خدمة المجتمع فى أبهى صورها وفى مواقف لا حصر لها. . تعبر عن مشاعر أصحاب الثروات تجاه احتياجات الناس. . هكذا فعل ـ مثلا ـ عثمان بن عفان. . وهكذا فعل الملياردير عبد الرحمن بن عوف حين اهتزت شوارع المدينة تحت أقدام سبعمائة راحلة (تقارب ثلاثمائة وعشرون شاحنة حاليا) محملة بتجارته من الشام، تحمل الدقيق والطعام والكساء والبر وغيرها. . وتحدث الناس هنا وهناك عن قافلة ابن عوف. . وعندما سمع ردود الفعل

الجياشة فى المدينة تبرع بها جميعا.. وقال: "إن هذه القافلة بأحمالها، وأقتابها، وأحلاسها، فى سبيل الله عز وجل".. ووزعت حمولة سبعمائة راحلة على أهل المدينة وما حولها..

....

كان رضي الله عنه أمام خيارين: المنفعة الشخصية.. والمصلحة العامة.. فاختار الثانية، وهو مؤمن بالعطاء فوق ما يجود به من حق الزكاة ومن الصدقات.. كان مؤمنا بأن إدارته للتجارة وأمواله سوف تعوض ما دفعه للمحتاجين..

كانوا أصحاب رءوس أموال وطنية، مع المحافظة على حدود الله ـ عقيدة وشريعة وأخلاقا ونظاما للمجتمع ـ وكان منهجهم ضد الاحتكار، والاستغلال الأسود لحاجة الناس، أو تغلب (المنفعة) على (الفضيلة).. كانت عيونهم على الفضيلة، وتحكمها ثلاث قواعد: قاعدة كسب المال.. وقاعدة طهر المال.. وقاعدة للأغنياء الذين أتاهم الله المال.. وهى قواعد تنظم كل ما يتعلق بالمال من تجارة وزراعة وإجارة، وبيعا وشراء وكتابة للدين.. وغيرها من الشئون الاقتصادية..

....

....

وهذه السطور ليست سردا لتاريخ رجال الاقتصاد حول الرسول صلى الله عليه وسلم.. ولا سجلا لأعمالهم.. ولا معرضا لحوادث عصرهم.. ولكنها تقديرا لهم، وإنصافا للحقيقة التاريخية والإنسانية.. وكما يقول المفكر العملاق الراحل عباس محمود العقاد فإن الحوادث لا تعنينا

لذاتها، إن لم يكن معناها تقويما لأعمال، وتعريفا بأقدار الناس مما عملوه واستطاعوه . ويأتى فى المقدمة، وإلى جانب كبار رجال الأعمال من صحابة الرسول ﷺ (المليادير عبد الرحمن بن عوف) أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام. . وكان ـ بحق ـ سيد ماله ،ولم يكن عبده . وكانت فلسفته أنه لا ينعم بكل هذا الثراء وحده، بل ينعم به أهله وإخوانه ومجتمعه كله. . وهو الثرى، أكثر ما يكون الثراء، وفرة وإفراطا. .

كان الصحابى الجليل. . الفارع القامة، المضئ الوجه، الرقيق البشرة. . يدير تجارته بذكاء، وفكر اقتصادى، وخبرة وحنكة بحسابات الأرباح والخسائر، متحسبا للاحتمالات الطارئة والمتوقعة. . ورغم تفوقه الذى أثار إعجاب ودهشة الآخرين، فقد كان أكثر تواضعا، ويقول أنه "محظوظ "وأنه لو رفع حجرا لوجد تحته فضة وذهبا !! ويمكن أن نقترب من الفكر الاقتصادى للتاجر الناجح والصحابى الجليل ،من هذا الموقف حينما هاجر إلى المدينة ،لا يملك شيئا ،مثل بقية الصحابة الذين آخى الرسول ﷺ بينهم وبين أنصار المدينة يتقاسمون كل شىء. . وجاء دور عبد الرحمن ابن عوف ،وقد آخى الرسول الكريم بينه وبين سعد بن الربيع. . فقال له سعد: يا أخى أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر مالى فخذه، وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب لك حتى أطلقها وتتزوجها. . فقال له عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك فى أهلك ومالك. . لا حاجة لى فى ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال سعد: سوق بنى قينقاع. . وخرج عبد الرحمن بن عوف إلى السوق، فاشترى وباع وربح. . وعادت إليه الثروة الطائلة. . وورد فى كتب التراث أنه اقترض دينارين اشترى بهما أقط (لبن جامد) وسمن. . وباع ثم اشترى،

ثم تابع الحركة فى السوق، وهو من يعلم أصول المعاملات التجارية وسرعة دوران رأس المال..

وهكذا نمت تجارته، وأخذت قوافله تفد على المدينة من مصر ومن الشام ومن اليمن ومن الحبشة محملة بكل ما تحتاجه جزيرة العرب.. حتى أصبح لا يستطيع أن يحصى ثروته.. وكان يقال داخل المدينة المنورة من التعبيرات الدارجة على اللسان: "أن أهل المدينة جميعا شركاء لابن عوف فى ماله: ثلث يقرضهم.. وثلث يقضى عنهم ديونهم.. وثلث يحرص على التواصل معهم ويعطيهم"..

وهكذا ليس فى وسع رجل أسلم على يد النبى، إلا أن يكون حريصا على أحكام وفرائض دينه، وواجبات المروءة فى عرف زمنه..

....

....

ولعلنا نقترب أكثر من مصطلح (المنفعة العامة) من خلال دور رجال أعمال كانوا حول الرسول ﷺ.. أخذوا يعملون فى جد لاستثمار المال فى إطار المبادئ الإسلامية.. كانوا يتاجرون، ويسافرون بالتجارة هنا وهناك، أو يرسلون من يقوم عنهم بالتجارة فى أموالهم (وكلاء تجاريون).. وهم يحفظون عن الرسول الكريم ﷺ: "التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء"..وإيمانا والتزاما بتعاليم الرسول ﷺ، راح رجال أعمال يعملون فى كسب المال، وأثرى الكثير منهم ثراء عظيما، ومن بينهم عدد من الصحابة المبشرين بالجنة.. وقد وضعوا أسس وقواعد اقتصادية قبل ألف وخمسمائة عام: الالتزام بدفع (الضرائب) حق الله وحق المجتمع وهى (الزكاة).. والالتزام بتطهير

النفس بالصدقات والتبرعات، ولم يخشوا نقصان المال، فلم تكن لديهم شهوة جمع المال واكتنازه. وإذا كان المال والثراء ينادى السلطة، فقد كانوا أبعد ما يكون عن الرغبة فى السلطة والنفوذ.. ولذلك فإن البذل الذى بذلوه فاق ما يمكن تصوره.. والدور الجليل الذى نهضوا به كان أبرز دعائم الدول الإسلامية فى مهدها.. هم أروع نماذج البشرية الفاضلة وأبهاها..

وكان الصحابى الجليل والملياردير عبد الرحمن بن عوف فى المقدمة مع أصحابه الأجلاء وهم يتنافسون فى العطاء لخدمة المجتمع.. وتضم قائمة تبرعاته على سبيل المثال فقط: أنه باع فى يوم أرضا بأربعين ألف دينار، ثم وزعها جميعا فى أهله من بنى زهرة وفقراء المسلمين.. وقدم يوما لجيوش الإسلام خمسمائة فرس.. ويوما آخر قدم ألفا وخمسمائة راحلة.. وكان يقضى ديون ذوى الديون.. وكان يقرض المحتاجين قرضا حسنا.. وبعد وفاة الرسول ﷺ، أخذ عبد الرحمن بن عوف يتبرع تباعا بنسبة زيادة أمواله.. وكان يخصص جزءا من ماله كل عام لزوجات الرسول ﷺ، وقد أوصى لهن بحديقة قومت بأربعمائة ألف.. وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار فى سبيل الله، وأوصى لكل من بقى ممن شهدوا معركة بدر بأربعمائة دينار، حتى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أخذ نصيبه من الوصية رغم ثرائه العريض، وقال: "إن مال عبد الرحمن حلال صفو، وأن الطعمة منه عافية وبركة".

. . . .

. . . .

هذه صورة رجل ملياردير فى الإسلام.. كان يدير أمواله، ويشارك

فى الحروب حتى أنه أصيب يوم "معركة أحد "بعشرين جرحا، وإحدى هذه الإصابات تركت عرجا دائما فى إحدى ساقيه.. كان مشاركا فى أمور الدنيا والدين.. ولم يعرف يوما الكبرياء والغرور رغم ثرائه، حتى قيل عنه: إنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خدمه، وما استطاع أن يميزه من بينهم "... وهو من أصحاب الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعل الخلافة فيهم من بعده.. وبعد رحيل الفاروق ابن الخطاب رفض عبد الرحمن بن عوف الترشيح للخلافة، فطلب منه الخمسة الآخرون أن يختار هو الخليفة من بينهم، فاختار عثمان ابن عفان..

هذه حقيقة رجال أعمال كانوا حول الرسول الكريم ﷺ، وحين كانت الحياة تهيب بمن يجدد لها صوابها وشبابها ويحرر وجودها.. وقد جاء هؤلاء الرجال ومع الصحابة الأجلاء حول الرسول ﷺ ناسكين ومحررين وعاملين.. يضيئوا الضمير الإنسانى بحقيقة التوحيد..